الآثار الإيجابية لفقه الدول والآثار السلبية لفقه الجماعات

الشيخ الدكتور/ عبد الحميد متولي
رئيس المجلس الأعلى للأئمة والشئون الإسلامية بالبرازيل
البرازيل

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله الحليم الكريم، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، أما بعد..،

فقد شرفت بدعوة معالي وزير الأوقاف الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة. لحضور المؤتمر العام الثلاثين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية هذا العام ، وكم كانت سعادتي غامرة حين وصلتني هذه الدعوة المباركة من شخصه الكريم، فلسيادته ولمعالي الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية مني كل الشكر، والتقدير، والتحية، والتوقير.

والذي زاد سعادتي وأثلج صدري هو عنوان المؤتمر، فهو قضية الساعة وواجب الوقت، والذي جاء بعنوان: فقه بناء الدول..دراسة فقهية معاصرة، وهو موضوع غاية في الأهمية؛ لأن الدول لا تبنى بالجهل والعفوية، وإنما تبنى بالعلم والفقه، وقد أسس رسول الله ﷺ لهذا الفقه العظيم، الذي نستطيع أن نسميه بفقه بناء الدولة، حين أسس دولته في المدينة النبوية، وكان له بالغ الأثر في نجاحها وقوتها في الداخل والخارج، في كل مجال من مجالات الحياة، حتى صار يضرب بقوتها المثل، ويدرس فقه بنائها من المسلمين وغير

المسلمين؛ إعجابًا بها، وإجلالاً لصاحبها ﷺ.

وفيما يلي مساهمة متواضعة من العبد الفقير حول الآثار المترتبة على فقه بناء الدول، والآثار المترتبة على فقه الجماعات المتطرفة، راجيًا من الله تعالى الإخلاص في القول والعمل آمين.

أولاً: الآثار الإيجابية لفقه الدول:

حرص الناس دائمًا على أن يتعلموا العبادات وهذا جيد، ولكن غاب عنهم أن يتعلموا فقه الدولة الذي يحقق أمنها، ويحقق الحفاظ على مقدراتها، ويحقق حب الوطن الذي أسسه فينا رسول الله ﷺ حين وقف على مشارف مكة مهاجرًا منها إلى المدينة المنورة قائلاً: "والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت"[1].

وكانت الأسس التي قامت عليها دولة المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ والتي كانت البذرة الأولى في فقه الدول؛ تتمثل في:

الأساس الأول: بناء المسجد، وهو يشير إلى ذلك الفقه النبوي العالي؛ حيث إن المسجد بغاياته والحكمة منه يشمل كل ما يؤسس للدولة ورقيها وحضارتها من: مدارس، ومؤسسات تعليمية، وطبية، وخدمية.

الأساس الثاني: المؤاخاة، وهو يؤسس لفقه العدالة الاجتماعية، والتراحم، والتكافل في المجتمع، وهذه الصفات التي اتصف بها الأنصار رضي الله عنهم ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[2].

ويؤخذ من هذا أن فقه الدول لا يقوم على الأثرة وحب الذات، وإنما يقوم على الإيثار ونفع الغير.

الأساس الثالث: المعاهدات، والتي تتضمن السلام، وتحقيق العدل.

وإذا أمعنا النظر في الآثار التي ترتبت على هذا الفقه النبوي العظيم في بناء دولة المدينة المنورة؛ رأينا أنه ينتج عن فقه الدولة الوسطي الرشيد آثار إيجابية عظيمة، منها على سبيل الإجمال:صلاح الفرد والمجتمع، والأمن المجتمعي، و التقدم البحثي والعلمي،

والرخاء الاقتصادي، والتوسع الإنتاجي والاستثماري، والرفاهية في المعيشة، والعدل، والتعاون بين الشعب والحكومة، واللحمة الواحدة بين أبناء الوطن، والعدل.

والإبداع في مجال التقنية وعمارة الأرض، وهذا أثر من آثار فقه قول الله تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٣].

فمن ظن أنه يقيم الدين دون أن يقيم عمارة الأرض فقد قل فقهه، فعمارة الأرض جزء لا يتجزأ من الدين ومن غاياته ، فإذا كانت الغاية الأولى هي معرفة الله تعالى، والثانية تزكية النفس، فالغاية الثالثة هي عمارة الأرض، فالذين فقهوا الدين كانوا سادة الدنيا في كل العلوم، في: الفلك، والرياضيات، والقانون؛ في علوم الدين وعلوم الدنيا.

ثانيًا: الآثار السلبية لفقه الجماعات:

لقد كان لذلك النوع الجامد والمتحجر من فقه الجماعات آثار سلبية، عملت على نشأة التطرف والإرهاب، الذي كَفَّرَ العباد، وسفك الدماء، وهتك الأعراض، ولم يُبق لدولة حرمة، ولم يراعِ لإنسان ذمة.

التوصيات

* * *

١- يجب دراسة موضوع فقه بناء الدولة دراسة فقهية معاصرة في ضوء مستجدات العصر ونوازله.

٢- ضرورة دراسة فقه الجماعات المتطرفة من مصادرها دراسة متأنية، تجمع بين التوثيق والرد على هذا الفقه المعوج.

٣- ضرورة نشر ثقافة التعاون بين الشعوب والحكومات لبناء الدول، وأن على الشعوب مسئولية عظيمة في مكافحة التطرف، والإرهاب، والتخلف، والجهل، والفقر، والمرض، بين العامة، وليس ذلك مسئولية الحكومات وحدها.

الهوامش :

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٠/٣١، حديث رقم ١٨٧١٥، مسند عبد الرازق، ٢٦/٥٠.

(٢) الحشر:٩.

(٣) هود:٦١ .